جامعة تلمسان

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة علم الاجتماع

السنة الثانية –ليسانس-

مقياس علم الاجتماع في الجزائر-السداسي الثاني-

المحور الثاني: أهم القضايا والإشكالات السوسيولوجية في الجزائر

المحاضرة السادسة: **وضعية السوسيولوجيا في الفترة الراهنة-عرض لأهم الإسهامات المحلية**.

نحاول في هذه المحاضرة تشخيص وضعية علم الاجتماع وإبراز مختلف المساهمات النظرية لدى المهتمين بالسوسيولوجيا في الجزائر، وعموما فان جلهم يعتبرون أن علم الاجتماع في الجزائر هو في حالة تقهقر ، أزمة ،إخفاق أو انتكاسة، انه تعبير عن أزمة .

بالنسبة للشق العلمي، يشرح الباحث **أحمد رواجعية** وضعية العلوم الاجتماعية ويقول عنها أنها وليدة أزمة الجامعة الجزائرية التي تكلمنا عنها آنفا ويمكن تلخيص وضعيتها المؤزمة, فيمايلي:..في المقام الأول, نجد الكسل المعرفي لدى الأساتذة والباحثين المطالبين بالتوجه نحو التحقيقات الميدانية, للبحث في مواضيع لازالت عذراء-تطور الأفكار والأخلاق,الانتفاضات, التعايش الحضري, الأدوار والمكانات الاجتماعية الجديدة,ظواهر الإحباط وطرق التعبير عنها-...؛في المقام الثاني ,الجري المتعطش نحو الترقيات عن طريق الدبلوم و الدرجات المهنية وفي الرتب المهنية؛صراع الأجنحة والجماعات حول أمور ومصالح لا ترتبط بإنتاج المعرفة,..الخ.

يضيف الباحث نفسه إلى مسألة هامة تتعلق باللاتحفيز القوي اتجاه علماء الاجتماع نحو التحقيقات الميدانية اتجاه مواضيع تعتبر من قبيل النبالة أو تشكل طابو في المجتمع الجزائري كالمخدرات ، الممارسات الجنسانية ،الانتحار ، العنف ،القرابة ..الخ- وعليه فان المذكرات والأطروحات المنتجة في الجامعة الجزائرية نادرا ما تتطرق إلى مثل هكذا مواضيع ما عدى بعض الصحف الوطنية التي تجرأ على تحدي هذه الطابوهات من خلال الكشف عن ممارسات لا يمكن تصورها –خيالية- والتي تضرب بعمق ضمير البلد أين يعتقد سكانه أنهم محميون من هذه الآفات عن طريق الدين والأخلاق الإسلامية، فأمام مجتمع مشبع بقوة التدين تبدو هذه الظواهر وكأنها غريبة عن الإسلام الذي يدينها فهي نتاج الحضارة الغربية. إن تجنب مثل هذه المواضيع الساخنة يفسر في جزءه الأكبر منه بالتخوف من كشف عيوبنا للعالم الخارجي وكذلك باعتبارها قليلة الأهمية أكاديميا.

أما الباحث **العياشي عنصر** فانه يحلل وضعية علم الاجتماع تحت عدة عوامل هي :

1-سيطرة السياسي على العلمي: إذا كانت العلوم الطبيعية وسيلة الإنسان لتحقيق سيطرته على الطبيعة، فان العلوم الاجتماعية وسيلة أو أداة لتحقيق السيطرة على الإنسان على المجتمع وبالتالي تسعى القوى النافذة في المجتمع التي بيدها السلطة السياسية في فرض نفوذها بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة على مؤسسات إنتاج المعرفة لأن هذه السيطرة تحقق إدماج هذه المؤسسات في مشروع النظام القائم وجعلها أدوات لا غنى عنها في اكتساب الشرعية من جهة وتزويد النظام بكفاءات لتحقيق أهدافه،بذلك تفقد الممارسة العلمية صفتها النقدية لتصبح نشاطا عقائديا تبريريا..

2-عدوانية المجتمع وانغلاقه**:** هناك عدة مجالات لا تزال مغلقة أمام البحث السوسيولوجي والمعرفة العلمية عموما وتعتبر مقدسة وينظر للبحث فيها على أنه تدنيس لها لأنه يكشف فيها مظاهر الخداع والتمويه، قضايا العقيدة والممارسات الدينية ،العلاقات والسلوك الجنسي،موقع الدين في المجتمع ودوره، الجماعات الهامشية والمهمشة-المساجين، اللصوص ، الحركات الاجتماعية...الخ وبهذا نلاحظ رد القوى الاجتماعية التي لها علاقة بهذا تتسم بالرفض لمثل هكذا دراسات أو تعلن العداء الصريح لها وهي امتداد لعلاقات تتميز بسيطرة اللاعلمي، فالمجتمع بهذه الحالة يفضل العزام أو القزان عن المحلل النفساني أو الخبير الاجتماعي، كما يمكن تفسير عدوانية المجتمع وانغلاقه بجهل طبيعة علم الاجتماع من قبل صناع القرار في مواقع كثيرة مثل : المسيرون والإطارات في القطاع الاقتصادي، مسؤولو الإدارات المحلية والمركزية...الخ ،أما الذين يدركونه فإنهم ينقسمون إلى قسمين: الأول يستعمله لتأكيد سلطته وتعزيز موقعه وقسم الثاني يرفض التعامل معه إطلاقا لأنه يدعوا للشغب والفوضى ويهدد النظام والاستقرار.

3-إهمال البحث وتهميشه:: هناك عدة مؤشرات تدل على إهمال البحث كعدم توفر الشروط الموضوعية المادية والمعنوية من أجل القيام بالبحوث والنشر وتبادل نتائجها ووضعها لدى كل المهتمين والمتخصصين في القطاعات المستخدمة، بالإضافة إلى انعدام حرية الرأي والتعبير في المجتمع والرقابة المؤسساتية لاكتفاء بالشهادة والأقدمية في تقييم الباحثين واعتماد البحث على تكرار معارف قديمة لا تتطابق مع الواقع المتجدد.

يشرح لنا عالم الاجتماع **جمال غريد** أزمة علم الاجتماع في الجزائر، إذ يقول : لقد وقف علماء الاجتماع العرب مطولا على سرير السوسيولوجيا العربية المريضة كما يقف الأطباء على سرير المصاب بمرض نادر استعصى تشخيصه واستلزم التشاور المكثف حوله ، وهكذا فقد تعددت التشخيصات وتنوعت فمنهم من يرد الأسباب إلى الخارج –الهيمنة الامبريالية- ومنهم من يعزوها إلى الداخل –التخلف الأنظمة التسلطية اللا ديمقراطية- ومنهم من ينسبها إلى علماء الاجتماع أنفسهم –مواقفهم الطبقية البعيدة عن هموم واهتمامات الجماهير الشعبية-....تارة علماء الاجتماع العرب في معظمهم مصابون بالازدواجية والاستلاب فهم يهتمون بالفكر الغربي أكثر مما يهتمون بمجتمعاتهم وهم يعيشون بأجسامهم في الشرق وبعقولهم في الغرب، ويضيف البعض بأن السبب يكمن في الابتعاد عن الإسلام ومقوماته الثقافية والاجتماعية مصابون بكسل مزمن فيكتفون باستيراد الأفكار السوسيولوجية الجاهزة عوض بذل الجهود تلو الجهود للتصدي العلمي الرزين لمجتمعاتهم قصد إنتاج معارف مقنعة حولها، فلا وجود لاتحاد أو جمعية مهنية تسمع صوت السوسيولوجيين إلى المجتمع أو السلطات العمومية كما هو الحال بالنسبة للأطباء أو المهندسين مثلا وتدافع عن مصالحهم وتعمل على ترقية عملهم وحرفتهم في المجتمع.

يقدم لنا الباحث **عبد القادر لقجع** تشريحا لوضعية السوسيولوجيا في الجامعة الجزائرية مبرزا العلاقة بين علماء الاجتماع ومجتمعهم، فإذا كان هذا الأخير يتغير وفي تغيره فهو يطرح على السوسيولوجيا مشاكل جديدة ويتعلق هذا التغير بكل الاختصاصات السوسيولوجية المدرسة في كبريات جامعات الوطن، فالمجتمع قد تغير بصفة عميقة من وجهة نظر سوسيولوجيا العمل –الإجارة لم تعد هي الشكل السائد أو المهيمن في علاقات العمل والنشاطات اللارسمية لهي في تصاعد مستمر- والسوسيولوجيا السياسية –تغير كلي للخريطة السياسية الوطنية- والسوسيولوجيا التربية –يبدو أن المدرسة أعطت لنفسها مرجعية ثقافية خاصة بها لا تشاركها الجامعة فيها – والسوسيولوجيا الحضرية-حيرة علماء الاجتماع أمام المجتمع الحضري بمدنه وأنماطه المعيشية ومخيلته...-كل هذه التغيرات هي اليوم في انتظار السوسيولوجيا التي تؤولها وتفهمها .

يقول **علي الكنز** إذا أردنا تقويم الممارسات السوسيولوجية الحالية في بلادنا ، أمكننا وصفها بتبعيتها الأساسية للسوسيولوجيا الغربية، تأخذ هذه التبعية أشكال التقليد والتكرار،أكان هذا التقليد واعيا أو غير واع مما يؤدي إلى انعكاس ،أو بالأحرى انحراف قضايا وإشكالات علم الاجتماع الغربي داخل البني الاجتماعية والثقافية لعالمنا.

أما الباحث **الطيب كنوش** ومن خلال تحليله لمحتوى البحوث المنجزة في جامعة الجزائر في العشر سنوات الأخيرة في ميدان علم الاجتماع استخلص أنها تشبه حالة- التوحد-الذي يبدو أنه يزدهر في أوقات الفراغ، أين أصبح البحث الأكاديمي في التخصص عاجزا عن إنتاج ما هو مطلوب منه أي مرئية جيدة ممكنة اتجاه المجتمع وهذا مرده إلى الانغلاق على الذات من جهة والقطيعة مع الأخلاق والتراكم المعرفي من جهة أخرى.

في الشق البيداغوجي والإداري يشير الباحث **جمال معتوق** إلى مسألة توجيه الطلبة إلى تخصص علم الاجتماع فيقول : أغلبية الطلبة الوافدين على علم الاجتماع هم من الطبقات الدنيا، ويمكن التحقق من هذا بسهولة. حيث التوجيه الجامعي توجيه قهري يعمل المسؤولون من ورائه على إعادة إنتاج التقسيم الطبقي وتكريس مبدأ الفوارق الاجتماعية والثقافية.

أما بالنسبة لكيفية إحداث أقسام علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية يقول : من المضحك والمبكي في نفس الوقت كيفية إحداث أقسام علم الاجتماع عبر الجامعات والمراكز الجامعية الجزائرية، حيث التسرع والفوضى هما السيدان، وغياب الدراسات المسبقة لمعرفة مدى قيمة إحداث هذه الأقسام ويشيد بقول **عبد الرحمان بوزيدة** :" لقد أصبح عدد طلبة علم الاجتماع عندنا أكبر بكثير من الولايات المتحدة نفسها" فالأسئلة التي تطرح هنا: هل نحن في حاجة فعلا إلى هذه الجيوش من خريجي علم الاجتماع؟ وهل نحن فعلا قادرون على تحمل الأعباء المادية لهذه الأعداد المتزايدة يوما بعد يوم؟

من ناحية لغة التدريس بالرغم من مرور ربع قرن على عملية التعريب تقريبا، فإن الكثير من الأساتذة مازالوا يلجؤون إلى الدارجة على حساب اللغة العربية الفصحى، بينما البعض الآخر نجده يوظف خليطا من اللغات واللهجات، كاستعماله للفرنسية والعربية تارة، أو اللهجة التي يتحكم فيها بالإضافة إلى أحد اللغات الأكثر انتشارا عندنا بالجزائر كالعربية والفرنسية، وآخرون نجدهم يدرسون بالدارجة والفصحى والفرنسية.

يشير الباحث نفسه إلى قضية للمراجع في المكتبات فان عدد معتبر من الكتب المتوفرة بهذه الأقسام هي في الحقيقة مراجع تعمل على استمرار التخلف المعرفي وتزييف الحقائق، أغلبيتها يطغى عليها الطابع التجاري على حساب الطابع الأكاديمي، مراجع قديمة والبعض منها يزيد عن عمرها نصف قرن أو أكثر. أما بالنسبة لطريقة إسناد المقاييس لتدريس الطلبة، هناك بعض المقاييس الهامة والأساسية تعطى للتدريس لبعض الأساتذة من تخصصات بعيدة كل البعد عن متطلبات التخصص.

**للاطلاع أكثر، أنظر المراجع الآتية:**

1- لقجع عبد القادر:الجزائر أرض مغامرة للسوسيولوجي في علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر-مؤلف جماعي ، تنسيق وتقديم عبد القادر لقجع، دار القصبة ، الجزائر،2004م.

2- غريد جمال :الزرع الإشكالي للسوسيولوجيا في العالم العربي-المرجع نفسه.

3-علي الكنز :المسألة النظرية والسياسية لعلم الاجتماع العربي في- نحو علم الاجتماع العربي- مؤلف جماعي، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، 1989م.

4- العياشي عنصر:نحو علم اجتماع نقدي-دراسات نظرية وتطبيقية-ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999م.

5- جمال معتوق : قراءة نقدية لواقع علم الاجتماع في الجزائر/ مجلة دفاتر المخبر،جامعة بسكرة، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، 2009م

1. Rouadjia Ahmed : la crise des sciences sociales en Algérie-ouvrage collective- **Repenser l’université**-coordination et présentation Djamel Guerid, les éditions arak, Alger 2014.
2. Rouadjia Ahmed : sociologie sans sociologues, revue algérienne des lettres RAl, n 01 ,2eme semestre, 2017.
3. Tayeb Kennouche : la sociologie à l’université algérienne –analyse de ses ruptures multiples-, in l’université désacralisée-ouvrage collectif coordonné par Louisa Dris Ait Hamadouche, Fatma Oussedik, khaoula Taleb Ibrahimi, Koukou éditions, Alger, 2021.